فأغرينا به ذكروا مما حظا فنسوا ميثاقهم أخذنا نصارى إنا قالوا الذين ومن) A E بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم ا بما كانوا يصنعون [14]) ذكر بعد ميثاق اليهود ميثاق النصارى . وجاءت الجملة على شبه اشتغال العامل عن المعمول بضميره حيث قدم متعلق (أخذنا ميثاقهم) وفيه اسم ظاهر وجيء بضميره مع العامل للنكتة الداعية للاشتغال من تقرير المتعلق وتثبيته في الذهن إذ يتعلق الحكم باسمه الظاهر وبضميره فالتقدير : وأخذنا من الذين قالوا : إنا نصارى ميثاقهم وليس تقديم المجرور بالحرف لقصد الحصر . وقيل : ضمير (ميثاقهم) عائد إلى اليهود والإضافة على معنى التشبيه أي من النصارى أخذنا ميثاق اليهود أي مثله فهو تشبيه بليغ حذفت الأداة فانتصب المشبه به . وهذا بعيد لأن ميثاق اليهود لم يفصل في الآية السابقة حتى يشبه به ميثاق النصارى .

وعبر عن النصارى ب (الذين قالوا إنا نصارى) هنا وفي قوله الآتي (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) تسجيلا عليهم بأن اسم دينهم مشير إلى أصل من أصوله وهو أن يكون أتباعه أنصارا لما يأمر به ا (وإذ قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى ا قال الحواريون نحن أنصار ا) . ومن جملة ذلك أن ينصروا القائم بالدين بعد عيسى من أتباعه مثل بولس وبطرس وغيرهما من دعاة الهدى ؛ وأعظم من ذلك كله أن ينصروا النبي المبشر به في التوراة والإنجيل الذي يجيء بعد عيسى قبل منتهى العالم ويخلص الناس من الضلال (وإذ أخذ ا ميثاق النبيين لما آتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) الآية . فجميع أتباع الرسل قد لزمهم ما التزمه أنبياؤهم وبخاصة النصارى فهذا اللقب وهو النصارى حجة عليهم قائمة بهم متلبسة بجماعتهم كلها .

ويفيد لفظ (قالوا) بطريق التعريض الكنائي أن هذا القول موفى به وأنه يجب أن يوفى به . هذا إذا كان النصارى جمعا لناصري أو نصراني على معنى النسبة إلى النصر مبالغة كقولهم : شعراني ولحياني أي الناصر الشديد النصر ؛ فإن كان النصارى اسم جمع ناصري بمعنى المنسوب إلى الناصري والناصري عيسى لأنه ظهر من مدينة الناصرة . فالناصري صفة عرف بها المسيح عليه السلام في كتب اليهود لأنه ظهر بدعوة الرسالة من بلد الناصرة في فلسطين ؛ فلذلك كان معنى النسبة إليه النسبة إلى طريقته وشرعه ؛ فكل من حاد عن شرعه لم يكن حقيقا بالنسبة إليه إلا بدعوى كاذبة فلذلك قال (قالوا إنا نصارى) . وقيل : إن النصارى

جمع نصراني منسوب إلى النصر : كما قالوا : شعراني ولحياني لأنهم قالوا : نحن أنصار ا . وعليه فمعنى (قالوا : إنا نصارى) أنهم زعموا ذلك بقولهم ولم يؤيدوه بفعلهم .

وقد أخذ ا على النصارى ميثاقا على لسان المسيح عليه السلام . وبعضه مذكور في مواضع من الأناجيل .

وقوله (فأغرينا بينهم العداوة) حقيقة الإغراء حث أحد على فعل وتحسينه إليه حتى لا يتوانى في تحصيله ؛ فاستعير الإغراء لتكوين ملازمة العداوة والبغضاء في نفوسهم أي لزومهما لهم فيما بينهم شبه تكوين العداوة والبغضاء مع استمرارهما فيهم بإغراء أحد أحدا بعمل يعمله تشبيه معقول بمحسوس . ولما دل الظرف وهو (بينهم) على أنهما أغريتا بهم استغني عن ذكر متعلق (أغرينا) . وتقدير الكلام : فأغرينا العداوة والبغضاء بهم كائنتين بينهم . ويشبه أن يكون العدول على تعدية (أغرينا) بحرف الجر إلى تعليقه بالظرف قرينة أو تجريدا لبيان أن المراد ب (أغرينا) ألقينا .

وما وقع في الكشاف من تفسير (أغرينا) بمعنى ألصقنا تطوح عن المقصود إلى رائحة الاشتقاق من الغراء وهو الدهن الذي يلصق الخشب به وقد تنوسي هذا المعنى في الاستعمال .

والعداوة والضمير المجرور بإضافة بين إليه يعود إلى النصارى لتنتسق الضمائر .

والعداوة والبغضاء اسمان لمعنيين من جنس الكراهية الشديدة فهما ضدان للمحبة .

A E